بسم الله الرحمن الرحيم

الإلحاد

أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبده ورسوله الأمين، وكل رسل الله أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده وأن محمداً عبده ورسوله.. وبعد

فإن شبيبتنا الإسلامية باتت نهباً لدعوات الكفر والإلحاد والزندقة، وتحولنا من أمة غازية إلى أمة مقهورة مغزوة مغلوبة على أمرها بعد أن كنا نغزو العالم برسالة الله مخرجين الناس من الظلمات إلى النور، ومن الظلم إلى العدل، ومن الشرك إلى التوحيد ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام إذا بنا نصبح أمة يتوطن الظلم والجهل في ربوعها، ويتفلت أبناؤها من دينهم وتراثهم، ويلعنون ما مضى من أسلافهم وينتقلون إلى عقائد الكفر والإلحاد والوثنية. وقد رأيت من واجبي حمل نصيبي من إبلاغ الدين الذي حملني الله إياه، ونشر العلم القليل الذي هيأني الله لقبوله وحمله ولله الحمد والمنة أولاً وأخيراً ولا شك أن مشكلة الإلحاد من أعظم المشاكل التي يعاني منها شباب أمتنا وهأنذا أقدم بفضل الله تصويراً محملاً لهذه المشكلة وكيفية علاجها لعل في هذا هداية للشاردين وتبصرة لإخواتنا المؤمنين في كيفية علاج هذه الظاهرة، والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا به.

عبدالرحمن عبدالخالق

الكويت 7 من جمادي الأول سنة 1403هـ

الموافق 19 من فبراير سنة 1983م

أولاً: مدخل وتعريف

مدخل:

يعاني العالم المعاصر من مشكلات كثيرة فبالرغم من التقدم المادي الهائل الذي نعيش فيه والخيرات العظيمة التي وفرها العلم لحياة الإنسان ورفاهيته، إلا أننا نعيش في ظل مشكلات رهيبة يتولد بعضها عن بعض، ويؤثر بعضها في وجود بعض، ومن هذه المشكلات القلق النفسي والاضطراب، وانتشار الجريمة، وانعدام الأخلاق والفردية والأنانية، والظلم بكل معانيه وصوره، والانحلال والفساد، فالفضائح السياسية والمالية نسمع عنها كل يوم تقريباً، ولا يكاد يخلو بلد من بلدان العالم من هذه المشكلات، ولم يستطع تقدم الإنسان المادي أن يقضي أن يخفف من هذه المشكلات بل على العكس من ذلك كلما ارتقت حياة الإنسان المادية كلما ظهرت وانتشرت هذه المشكلات.

وبالرغم من كثرة هذه المشكلات وتعددها فإن أعظم هذه المشكلات وأكبرها أثراً في ظهور الفساد والاضطراب والقلق هي مشكلة الإلحاد. فهذه المشكلة في الحقيقة هي أم المشكلات وسببها جميعاً. فماذا نعني بمشكلة الإلحاد؟ وما سبب هذه المشكلة التي أصبحت إحدى مظاهر العصر؟ وكيف يعالج الإسلام هذه المشكلة؟ هذا ما سنناقشه في الصفحات التالية بحول الله.

ماذا نعني بكلمة الإلحاد:

نعني بالإلحاد الكفر بالله والميل عن طريق أهل الإيمان والرشد. وظهور التكذيب بالبعث والجنة والنار وتكريس الحياة كلها للدنيا فقط والإلحاد اليوم ظاهرة عالمية فالعالم الغربي في أوربا وأمريكا وإن كان وارثاً في الظاهر للعقيدة النصرانية التي تؤمن بالبعث والجنة والنار إلا أنه ترك هذه العقيدة الآن وأصبح إيمان الناس هناك بالحياة الدنيا فقط وأصبحت الكنيسة مجرد تراث وأثر من آثار الماضي، ولا تشكل في حياة الناس وعقولهم إلا شيئاً تافهاً جداً وقد أصبح (الإلحاد) هو الدين الرسمي المنصوص عليه في كل دساتير البلدان الأوربية والأمريكية ويعبر عن ذلك (بالعلمانية) تارة، و (اللادينية) تارة أخرى وكل ذلك يعني الإلحاد والكفر بالله.

وفي الشرق تقوم أكبر دولة على الإلحاد وهي الدولة الروسية التي تحمل العقيدة الشيوعية التي من بنودها رفض الغيب كله والقول بأن الحياة مادة فقط وأن صراع الإنسان في هذه الحياة إنما هو من أجل العيش والبقاء فقط، وأما الدول الأخرى فبالرغم من أنه كان ينتشر فيها أديان تقوم على بعض العقائد الغيبية كالهندوكية والبوذية والكونفشيوسية إلا أن هذه الأديان اختفت الآن تقريباً أمام مد الإلحاد الغربي والحياة العصرية.

وبالرغم من أن العالم الإسلامي ما زال يتمسك نوعاً ما بالإسلام ويقر بالتوحيد ويؤمن بالبعث والجنة والنار إلا أن موجة الإلحاد العارمة تطغى عليه من كل جانب، وتشكك أبناءه في دينهم وعقيدتهم ويحسن بنا ونحن

نجابه هذه المشكلة أن نبحث بحثاً موضوعياً علمياً في أسباب هذه المشكلة وكيفية علاجها.

ثانياً: أسباب مشكلة الإلحاد

منذ مائتي عام فقط لم تكن مشكلة الإلحاد بهذه الحدة والانتشار ولكن في القرنين الأخيرين ظهرت عوامل كثيرة جعلت من الإلحاد والكفر بالله ديناً عاماً منتشراً، ونستطيع أن نجمل أهم الأسباب في انتشار الإلحاد فيما يلي:

1- الكنيسة الأوروبية:

لقد كانت الكنيسة الأوروبية سبباً غير مباشر أحياناً وسبباً مباشراً أحياناً أخرى في نشر الإلحاد والزندقة والكفر الكامل بوجود الله وذلك لأن القائمين على هذه الكنيسة من الرهبان والقساوسة أدخلوا في دينهم كثيراً من الخرافات والخزعبلات، وجعلوها عقائد دينية، كرفعهم عيسى عليه السلام من مرتبة البشرية إلى الألوهية وظهور فكرة الخطيئة والصلب والخلاص وأضافوا إلى ذلك كثيراً من الخرافات الدارجة عن الأرض والكون والحياة، وعندما بدأ عصر النهضة الأوربية واكتشف بعض العلماء حقائق جديدة عن الأرض والكون والحياة هب الرهبان والقساوسة ينكرون ذلك، ويتهمون من يعتقد بالحقائق الجديدة ويصدق بها بالكفر والزندقة ويوعزون إلى السلطات الحاكمة بقتلهم وحرقهم بالنار، ولقد لقي كثير من العلماء هذا المصير المؤلم جزاء مخالفتهم لآراء الكنيسة.. ولكن حركة العلم لم تتوقف واستطاع العلماء أن يقدموا كل يوم براهين جديدة على نظرياتهم العلمية وابتدأت آراء الكنيسة ومعتقداتها تهزم كل يوم هزيمة جديدة وكانت الجولة في النهاية لعلماء المادة على رجال الكهنوت فاندفع الناس نحو الإيمان بالعلم المادي كإله جديد سيحمل الرخاء والقوة والرفاهية للناس، وفتش الناس أسرار الكنيسة فهالهم ما رأوه من فساد أخلاقي بين الرهبان والراهبات وأرادوا التخلص إلى غير رجعة من السلطان الكهنوتي والقهر الزمني الذي مارسته الكنيسة ضدهم ومن الإتاوات والضرائب التي فرضتها الكنيسة على رقابهم فكان الرفض الكامل لكل المعتقدات الدينية والكراهية العامة لكل عقيدة تنادي بالإيمان بالغيب واتهام الرسل جميعاً بالكذب والتدليس وهكذا برزت الموجة الأولى من موجات الإلحاد العالمي.

2- مظالم العالم الرأسمالي:

ما كادت أوربا تتخلص جزئياً من سلطان الكنيسة ويكتشف الناس قوة البخار والآلة حتى تحول الناس من الزراعة إلى الصناعة، وهرع أهل الإقطاع إلى التصنيع فامتلكوا المصانع الكبيرة وحازوا الثروات الضخمة واستغلوا العمال استغلالاً فاحشاً وانتشرت المظالم الهائلة وظهرت الطبقات المتفاوتة من رأسماليين جشعين إلى عمال فقراء مظلومين، وكان رؤية هذا الظلم الجديد، ومساندة رجال الدين أو سكوتهم عنه سبباً جديداً في انتشار الإلحاد والشك في وجود الله، واتهام الدين بمساندة

الظلم أو عجـزة عن تقـديم حـل نـاجح لمشـكلات الإنسـان على الأرض وابتدأت العقائد الدينية تنحسر انحساراً جديداً عن حياة الناس وابتدأ الناس يعملون أفكارهم في خلق عقائد تستطيع أن تحل مشـكلاتهم على الأرض، وتقنـع عقـولهم وعجـزت الكنيسـة الأوروبيـة أيضـاً عن تقـديم هـذا العلاج للناس.

3- ظهور المذاهب الاقتصادية الالحادية:

كـان العامـل الثـالث الـذي سـاعد على انتشـار موجـة الإلحـاد هـو ظهـور المـذاهب الاقتصـادية الإلحاديـة وخاصـة الشـيوعية الـتي بشـر بهـا كـارل ماركس (اليهودي الألماني الذي تنصر والده) فبالرغم من أن هذا المـذهب ينطلق من منطلق اقتصادي ويستهدف حسب إعلان المبشرين به معالجـة المظالم الرأسمالية الفردية والسيطرة على مجتمـع اشـتراكي يعمـل فيـه كل إنسان حسب طاقته ويأخذ حسـب حاجتـه فقـط، إلا أن القـائمين على هذا المذهب الاقتصادي صبغوه بالصبغة العقائدية وأعطوه أبعاداً أخرى غير اقتصادية فزعموا أن الحياة التي يعيشها النـاس حيـاة ماديـة فقـط وأنـه لا يوجد روح ولا بعث ولا إله، ولا حياة أخرى وأن الناس منذ وجدوا لا هم لهم إلا المصالح المادية وزعموا أن ظهـور الأديـان إنمـا كـان من فعـل الأغنيـاء ليلبسوا على الفقراء ويستغلوهم وأن الأخلاق كالأمانة والعفة والصـدق مـا هي إلا نتاج خبيث للفكر الديني الذي يريد أن يخـدم المصـالح الرأسـمالية، واعتقد الشيوعيون لذلك أن الأنبياء ما كانوا إلا دجالين أرادوا بنشر أديـانهم تخدير الشعوب لتستنيم للظلم والقهر وبهذا أصبح هذا المذهب الاقتصـادي بفلسـفته الـتي أطلقهـا على الأديـان موجـة جديـدة من موجـات الإلحـاد والزندقة. ولعل هذه الموجة الجديدة التي جاءت بها الشيوعية كانت أعـتى موجـات الإلحـاد جميعـاً وذلـك أن الشـيوعية تبنت الـدفاع عن المظلـومين والفقراء وهذه قضية عادلة وإنسانية في ذاتها ولذلك تبـنى هـؤلاء الفقـراء والمظلومون وهم أغلبية الناس دائماً هذه العقيدة الجديدة والـدين الجديـد لأنـه يـدافع عن مصـالحهم ويتبـنى قضـاياهم وبـالطبع أخـذوا هـذا الـدين بفلسفته العقائدية وليس بفكره الاقتصادي فقط.

وهكذا انتشر الإلحاد سريعاً مع هذا المذهب الاقتصادي الجديد وكان النجاح الهائل الذي لاقته الـدعوة الشـيوعية بتفجـير الثـورة البلشـفية في روسـيا والاستيلاء على الحكم عاملاً كاسحاً في هدم الأديان ونشر الإلحاد وانتقالـه ليصبح عقيدة عالمية.

ولما كانت الدعوة الشيوعية ترى أن نهايـة العـالم الحتميـة إلى الشـيوعية وتدعو لذلك بل تنتهج الثورة والعنف الدموي سبيلاً إلى نشر الشيوعية فإنه سرعان ما تأجج العالم من أقصاه إلى أقصاه بـالثورات الـتي أججتهـا هـذه العقيدة وابتدأت التحولات القسرية لشعوب بأجمعها نحو الإلحاد كما حـدث في الجمهوريات الإسلامية في روسيا وكذلك في الصـين وغيرهـا ومـا زال المد الإلحادي الـذي تؤججـه العقيـدة الماركسـية يمتـد عـبر بلـدان العـالم جميعها. وها هي البلدان العربية التي كانت معقلاً للإسـلام تغزوهـا العقيـدة الماركسية الإلحادية في عقر دارها.

4- اقتران الإلحادية بالقوة المادية:

السبب الرابع الذي شجع النـاس على الكفـر باللـه والانطلاق نحـو الإلحـاد الكامل هو اقتران القوة المادية بالإلحاد، وذلك أن النـاس رأوا أن أوربـا لم تتقدم وتمتك القوى المادية وتكتشف أسرار الحياة إلا بعد أن تركت أفكـار الكنيسـة وعقائـدها. وأن دولـة كروسـيا لم تصـبح دولـة عظمى إلا بعـد أن أعلنت أنها دولة إلحادية، ورأوا مع ذلـك أن الـدول الـتي مـا زالت تتمسـك بالدين دولاً متخلفـة في القـوة والصـناعات فظن النـاس لـذلك أن الإلحـاد سـبب للقـوة والعلم، وأن الـدين يعـني التخلـف والجهـل، ولمـا كـان للعلم المادي آثاره الظاهرة والباهرة من تيسير حياة الإنسـان على ظهـر الأرض ونشر الرفاهية والرخـاء فـإن النـاس انصـرفوا عن العقائـد الدينيـة وآمنـوا بالعلم المادي كإله جديد قـادر على أن يـذلل لهم كـل الصـعاب على هـذه الأرض، بـل أطمعهم هـذا الإلـه المـادي أيضـاً في الوصـول إلى الكـواكب الأخرى وتسخيرها في خدمة الإنسان وهكـذا سـاعد اقـتران العلم المـادي والكشوف الجديدة بالإلحاد على ظن الناس أن العلم ثمرة ونتيجة للإلحـاد، وكان هذا خطأ عظيماً عمت بسببه موجة الإلحاد.

5- هزيمة العالم الإسلامي أمام الهجمة الأوربية:

مـا كـاد الأوربيـون يمتلكـون القـوة الماديـة، ويسـتخدمون الآلـة، ويبنـون المصـانع حـتى اتجهـوا إلى دول العـالم بحثـاً وراء الأسـواق لمنتجـاتهم الصناعية، وجلباً للمـواد الخـام اللازمـة للصـناعة. ولمـا كـانت هـذه الـدول تطمـع في الحصـول على مـا تريـد بـأبخس الأثمـان أو بلا ثمن أصـلاً فإنهـا استخدمت قوتها العسكرية النامية للحصول على ما تريد. ولما كان العـالم الإسلامي في غاية التخلف والفقر والضعف العسكري والسياسي، فإنه لم يصمد طويلاً أمام الهجمة الأوربية الاسـتعمارية، وكـان للهزيمـة العسـكرية التي مني بها المسلمون أمام الغزو الأوربي أثرها البعيد في زلزلة العقائـد الإسـلامية، وانحسـارها أمـام المـد الإلحـادي الـذي حملـه المسـتعمرون الأوربيون، وطفقت الشـعوب الإسـلامية، تقلـد المسـتعمر الأوربي وتتشـبه بأخلاقه وعاداته، وتـدخل في عقيدتـه الإلحاديـة ظنـاً منهـا أن الأوربـيين لم يصلوا إلى القوة إلا برفضهم للدين، وكانت هذه خطيئة جديدة وسـبباً آخـر أسهم في الظاهرة الإلحادية العالمية.

6- الحياة الجديدة ومباهج الحضارة:

فتح العلم المـادي للنـاس أبوابـاً عظيمـة من أبـواب الرفاهيـة والـترف ومغريات الحيـاة، فـالمراكب الفخمـة من سـيارات وطـائرات، وقطـارات، ووسائل الاتصال ووسائل الراحة والتسلية، والمطاعم والمشارب الفاخرة، والألبسـة الأنيقـة، والتفنن العجيب في التلـذذ بالحيـاة، والجـري وراء الشـهوات والمغريـات كـل هـذا فتح على النـاس ألوانـاً لم يعهـدوها من الاستمتاع بالحياة، والانغماس في الشهوات والملذات.

ولما كان الدين بوجـه عـام ينهى عن الإسـراف ويـأمر بالقصـد والاعتـدال، ويحرم الاستمتاع بالحرام كالخمر والزنا والتعري فإن الناس الذين يجهلون سر أمر الدين بذلك ظنـوا أن هـذه قيـوداً على حـريتهم، وحجـراً لملـذاتهم وشهواتهم فازدادوا لذلك بعـداً عن الـدين، وكراهيـة لمن يـذكرهم بـالآخرة

ومن يحــذرهم من نــار أو يطمعهم في جنــة. وبــذلك أيضــاً ازدادت غربــة العقائد الدينية وانتشرت عقائد الإلحاد والزندقة.

7- دوامة الحياة:

كـان لانطلاق النـاس الصـارخ نحـو العب من الحيـاة والاسـتمتاع بكـل مـا أفرزته الحضارة الغربية من ملهيات ومغريـات، واقتنـاء كـل مسـتطاع من وسائلها الحديثة أثـره البـالغ في انشـغال النـاس عن كـل شـيء حـتى عن أنفسـهم، فضـاعف النـاس سـاعات عملهم طمعـاً في المزيـد من الأجـور ولتحصـيل المزيـد من وسـائل الراحـة كالغسـالات والثلاجـات والسـيارات، ونحوها، وفي سبيل ذلك أيضاً انطلقت المرأة من المنزل لتشـارك الرجـل أعباء الحياة وتكاليفها الجديدة، وللحصول على مزيد من الرفاهية والراحة، وابتدأ السعار المجنون والرغبة الجامحة نحو اقتناء مغريات الحيـاة فتطلب ذلك زيادة في الجد والنشاط وانشغالاً بالليل والنهار، وهكـذا بـدأت دوامـة الحياة تطحن الإنسان المعاصر وتشغله في ليله ونهاره ولا تترك له فرصـة للتفكير في نفسه أو في مصيره فهـو يعمـل في متجـره أو مصـنعه ويعـود لملهياتــه وشــهواته ثم يعــود إلى عملــه وهكــذا دون أن تــترك لــه الحيــاة المعاصرة وقتاً للفراغ يستطيع فيه أن يفكر في حقـائق الـدين، وأن يجيب عن الأسئلة الخالدة التي تتردد داخل كل نفس: من خلق هذا الكون؟ ومن خلقنا؟ ولماذا خلقنا؟ وإلى أين نسير؟ وهل لهذا العالم نهاية؟ وهل لــه من بداية؟ ولماذا يعيش الناس متفاوتين فهـذا غـني وهـذا فقـير، وهـذا ظـالم، وذاك مظلوم، وهـذا قاتـل، وذاك مقتـول؟ وفيم كـل هـذا؟ بـل بقيت هـذه الأسئلة حـائرة في أكـثر النفـوس وبلا جـواب وذلـك أن الإنسـان المعاصـر المستهلك الذي تطحنـه دوامـة الحيـاة لا يجـد وقتـاً للتفكـير في كـل هـذه الأسئلة.

هذه هي الأسباب البارزة لوجود ظاهرة الإلحاد وانتشـارها على هـذا النحـو الذريع والآن كيف أثرت هذه الظاهرة في حياتنا المعاصرة وما آثارهـا على التحديد؟

ثالثاً: آثار الإلحاد في حياة الإنسان

ترك الإلحاد المعاصر آثاره الواضحة في سـلوك الإنسـان وفي أخلاق الأمم ونظام الاجتماع، ونستطيع أن نجمل هذه الآثار فيما يلي:

1- القلق والصراع النفسي:

إن أول الآثار التي يخلفهـا الإلحـاد في نفـوس الأفـراد هـو القلـق والحـيرة والاضطراب والصراع النفسي. وذلك أن داخل كل إنسـان منـا فطـرة تلح عليه، وأسئلة تتلجلج في صدره: لماذا خلقنا؟ ومن خلقنا؟ وإلى أين نسير؟ وإذا كـانت زحمــة الحيــاة، وشـغلها الشـاغل يصـرف الإنسـان أحيانـاً عن الإمعـان في جـواب هـذه الأسـئلة، والبحث عن سـر الحيـاة والكـون فـإن الإنسان يصطدم كثيراً بمواقف وهزات تحملـه حملاً على التفكـير في هـذا السؤال، فالأمراض والكوارث، وفقد بعض الأهل والأحبة، والمصـائب الـتي

تصيب الإنسان ولا بد تفرض على الإنسان أن يفكر في مصيره ومستقبله، ولما كان الإلحاد عقيدة جهلانية لأنه يقوم على افتراض عدم وجود إله - فإنه لا يقدم شيئاً يخرج هذا الإنسان من الحيرة والقلق والالتباس ويبقى لغز الحياة محيراً للإنسان ويبقى رؤية الظلم والمصاعب التي يلاقيها البشر في حياتهم كابوساً يخيم على النفس ويظل الإلحاد عاجزاً عن فهم غاية الحياة والكون، ولا يقدم للإنسان إلا مجموعة من الظنون والافتراضات لا تقنع عقلاً ولا تشفي غليلاً. ومع إلحاح نداء الفطرة الداخلي وتردد تلك الأسئلة الخالدة في النفس يظل الإنسان قلقاً معذباً.

وقد كان للإنسان قديماً فسحة من الوقت ليخلو بنفسه ويطالع السماء بنجومها، والبحر بروعته وسحره، والجبال بشموخها والصحراء بسعتها وامتدادها وروعتها. والزهر والنبات وبهجته، وكان ذلك يفيده كثيراً في الاستدلال على الرب والاعتراف بالصانع العظيم والخالق الكريم. ولكن الإنسان المعاصر أصبحت تحاصره المدينة بعمارتها الشامخة وطرقها الحديثة وأضوائها وضوضائها وملهيات الحياة ومغرياتها فتشل فكره عن التفكير في الخالق والاستدلال على الله. فيزيد هذا في حيرته وارتباكه.

وقد كان المجتمع القديم أيضاً مجتمعاً ساذجاً فطرياً يعرف الناس فيه بعضهم بعضاً ويتعاونون في الملمات ويفزع بعضهم البعض في المصائب. ولكن المجتمع الحديث مجتمع المدينة الصاخب باعد الناس بعضهم عن بعض وأصبح لكل فرد منهم همومه ومشكلاته، وأصبح الإنسان المعاصر لا يجد من يشكو إليه قلقه ومشكلاته ولا يتصور أن يجد من يمد له يد العون لو زلت قدمه وأصابته مشكلة أو فاقة وبذلك تعاظم الخوف من المستقبل والحذر من الأيام، واهتم الناس بأنفسهم وأصبحوا حريصين ماديين يجمعون ويدخرون ولا ينفقون. ومع الخوف من المستقبل والحذر من الأيام زاد القلق والاضطراب والتوجس والتوجع. ولو كان ثمة إيماناً بالله وتصديقاً بالغيب ومعرفة بالقضاء والقدر لحلت هذه المعضلة ولكن الإلحاد الذي يفترض ويزعم أن الإنسان يقوم وحده في هذا الكون وأنه لا يوجد إله يقيمه ويرزقه كرس قلق الإنسان وخوفه من المستقبل واتجاهه للأنانية والفردية.

2- الأنانية والفردية:

كانت النتيجة الحتمية للقلق النفسي والخوف من الأيام هي اتجاه الإنسان نحو الفردية والأنانية ونعني بالأنانية اتجاه الإنسان لخدمة مصالحه الخاصة وعدم التفكير في الآخرين - فالدين الذي يحث الإنسان على بذل المعروف للغير والإحسان للناس ابتغاء مرضاة الله بانحساره عن حياة الإنسان حل مكانه التفكير في النفس فقط وبذلك بدأ الناس في عصور الإلحاد المظلمة هذه لا يأبهون بغيرهم من بني البشر وشيئاً فشيئاً قلت العناية بالفقراء والمحتاجين ثم بالأهل والأقربين ثم بالوالدين وأيضاً بالزوجة والأولاد والمطلع على أحوال المجتمع الإلحادي في الغرب والشرق يرى إلى أي حد أصبح الناس ماديين أنانيين لا يهتم الفرد إلا في نفسه، ولا يهتم بالآخرين إلا بقدر ما يعود هذا على نفسه من منافع. وقد ضاعف هذه الأنانية والمادية اتجاه الناس نحو العب من الملذات

والشهوات التي يسرتها الحضارة الحديثة وأباحتها قوانين الإلحاد التي تكفر بالآخرة وتجعل حياة الإنسان الخاصة ملكاً لـه. فـانطلق النـاس لـذلك نحـو شهوات أنفسهم يستزيدون منها بقدر طاقتهم وجهودهم وأهملوا في سبيل ذلك العطف والإحسان والعناية بـالآخرين. وبـذلك نشـأن الإنسـان المـادي النفعي المعاصر الذي أصبح علماً ورمزاً للحضـارة الأوربيـة الإلحاديـة الـتي تغزو العالم الآن.

3- فقد الوازع والنزوع إلى الإجرام:

لأن الإلحاد لا يربي الضمير، ولا يخوف الإنسان من إلـه قـوي قـادر يـراقب تصرفاته وأعمالـه في هـذه الأرض فـإن الملحـد ينشـأ غليـظ القلب عـديم الإحســاس قــد فقــد الــوازع الــذي يردعــه عن الظلم ويــأمره بالإحسـان والرحمة. بـل على العكس من ذلـك فـإن الإلحـاد يعلم أتباعـه أنهم وجـدوا هكـذا صـدفة ولم يخلقهم خـالق أو أنهم خلقـوا أنفسـهم وأنهم حيوانـات أرضية كسائر الحيوانات الـتي تـدب على الأرض وبـذلك يغلـظ إحساسـهم ويتنــامى شــعورهم بالحيوانيــة والانحطــاط ويتجهــون إلى إثبــات ذواتهم بــالإغراق في الشــهوات والملــذات، وإذا منعتهم ظــروفهم المعاشــية أو القوانين الوضـعية البشـرية عن بلـوغ غايـاتهم وأهـدافهم الحيوانيـة فـإنهم يقومون بالتغلب على تلك الظروف وذلك إما بالحيلة والمكـر وإمـا بـالقوة والغلبة وفي كلا الأمرين لا يجد الإنسان الملحد رادعاً داخلياً يردعـه لأنـه لا يخـاف ربـاً ولا يرجـو حسـاباً. ولا يبقى أمـام الملحـد من وازع إلا القـانون البشري أو ظروفه الواقعية وهـذه أمـور يمكن التغلب عليهـا بصـور كثـيرة وخاصة في المجتمع المعاصر الذي تفنن الإنسـان فيـه في طـرق الإجـرام والتهـرب من القـوانين. وقـد يبقى في بعض الأنفس الـتي تـدين بالإلحـاد شــيء من نــداء الفطــرة ومحاســبة الضــمير ولكن هــذا النــداء الــداخلي المسمى بالضمير سرعان مـا يـزول ويتلاشـى في زحمـة الحيـاة الراكضـة وأمام مغرياتها الكثيرة.

وهذا الأثر من أعظم آثار الإلحـاد في حيـاة الإنسـان فعالمنـا المعاصـر هـو عالم الجريمة والخوف. فكل يوم تطالعنا وسائل الاتصال من صحف وكتب وإذاعــة وغيرهــا بأخبــار الجــرائم البشــعة الــتي بلغت من الحــدة والعنـف والشذوذ والتلذذ بتعذيب الآخرين وشرب دمائهم. والتمتـع برؤيـة صـراخهم واستغاثاتهم -هذا إلى حوادث السـرقة والسـطو والاغتصـاب والقتـل الـتي تتزايد يوماً بعد يوم- ولعل حادثة انقطاع النور المشهورة عـام 1977م عن مدينة نيويورك حيث اكتشف الناس في الصباح أن آلاف المحلات التجاريـة والمخـازن والـبيوت قـد نهبت عن آخرهـا وأنـه اشـترك في هـذه السـرقة الجماعية معظم الناس على اختلاف درجـاتهم وطبقـاتهم وأعمـارهم حـتى رجال الشرطة أنفسهم المكلفون بالحراسة شاركوا هذا المهرجان الشائن في السرقة والسطو.

ويقدر الخبراء أنه لو استمر انقطاع النور هكذا أسـبوعاً واحـداً ولم تتـدخل فرق من الجيش لخربت المدينـة عن آخرهـا. فكيـف إذا تـراخى الأمن في ظل الأزمات أو الحروب لا شك أن هذا المجتمـع سـيأكل بعضـه بعضـاً. ولا شك أيضاً أن هذه ثمرات حتمية من ثمار الإلحاد.

4- هدم النظام الأسري:

كان للإلحاد آثـار مـدمرة في الحيـاة الاجتماعيـة للإنسـان فالبعـد عن اللـه سبحانه وتعالى لم يكن من آثار تدميره النفسية البشرية فقـط وإنمـا كـان من لوازم ذلك تدمير المجتمع الإنسان وتفكيكـه وذلـك أن نظـام الاجتمـاع البشري لا يكون صالحاً سليماً إلا إذا كانت اللبنات التي تشكل هذا النظــام

صالحة سليمة، وإذا فسدت هذه اللبنات فسد تبعاً لذلك النظام الاجتماعي بأسره ولذلك كان من نتائج الإلحاد أيضا هدم النظام الأسري.

ومعلوم أن الأسرة هي الخلية الأولى في النظام الاجتماعي. وعندما فسدت البشرية فسدت الروابط الأسرية فالزوج الفاسد المنحل لا بد وأن يمتد فساده إلى زوجته وأولاده، والزوجة الفاسدة التي لا تراقب الله سبحانه وتعالى ولا تخافه لا بد وأن ينعكس هذه على أسرتها كلها: زوجها وأولادها، وكذلك الابن الفاسد الذي لا يراعي حرمة لوالد أو والدة، ولا حقاً لله سبحانه وتعالى وكذلك البنت الفاسدة وهكذا ابتدأنا نسمع في ظل الإلحاد المعاصر عن انهيار عقد الزواج الشرعي الشريف الذي يقصر المرأة على رجل واحد وتقيم علاقات متوازنة بين الأزواج ويوزع المسئولية في الأسرة توزيعاً عادلاً موافقاً للفطرة البشرية التي خلق الله عليها كلاً من الذكر والأنثى، وبانهيار عقد الزواج الشرعي أصبحت علاقات الأزواج علاقة متعة ومنفعة مجردة وبذلك قلت التضحيات التي لا بد منها فالزوج المخلص الوفي لا بد وأن يضحي بشيء من شهواته في سبيل أسرته، والزوجة الوفية كذلك التي قد تضطرها ظروفها أن تعيش مع زوج فقير أو مريض وأن تكافح لخدمة غيرها وتربية أولادها. ولكن في ظل العقيدة الإلحادية التي لا تؤمن بالآخرة ولا بالجزاء، فإنه لم يبق ما يحمل بالزوج أو الزوجة على التضحية والفداء. وكذلك الحال بالنسبة للأبناء أيضاً الذين يتعلمون في ظل التوحيد أن يعبدوا الله بالإحسان إلى آبائهم، وأن يجاهدوا في سبيل مرضاتهم وكفالتهم في أحوال العجز والكبر ولكن العقيدة الإلحادية التي تقوم على النفعية المادية تنظر إلى خدمة الآخرين على أنه سخافة وغباء ما دام أنه لا يحقق نفعاً قريباً. وبهذا ماتت المشاعر الجميلة والروابط الطبيعية التي كانت تمسك بزمام الأسرة وتؤلف بين قلوب أفرادها.

ولم تقتصر الآثار السيئة للإلحاد على هذا الفساد في الأسرة، بل تعدى ذلك إلى أنواع عجيبة من الفساد ففي ظل الانهيار الخلفي والرغبة المجنونة في جني الملذات والركض وراء الشهوات الجنسية أصبح التمسك بعقد الزواج الشرعي نوعاً من الغباء وبذلك أيقن الرجال في كثير من الأحيان أن أبناءهم الذين ولدوا على فراشهم ليسوا من ظهورهم بالضرورة وأيقن الأخوة كذلك أنهم لا ينتمون إلى أب واحد وبذلك انهدمت مشاعر القربى والرحم التي لا يمكن أن تنشأ إلا في مجتمع نظيف طاهر. وبانهيار مشاعر القربى والرحم كالأخوة والأبوة والعمومة ونحوها انهدمت متعة عظيمة من المتع الروحية والنفسية التي لا غنى عنها للإنسان وحل مكان ذلك المتع الجسدية المادية البليدة وبهذا تحول الإنسان شيئاً فشيئاً نحو الحيوانية والمادية وتفككت بذلك أيضاً عروة الأرحام والقرابة بعد أن تفككت الأسرة وقيمها الجميلة. وبهذا أضحى الطلاق وهجران البيوت وخيانة الزوجية شيئاً عادياً يومياً، وأصبح الرجل يرى أصدقاء ابنته ولا يأبه لذلك بل يدفعها لهذا، وكذلك يرى صديقات ابنه ولا يأبه لذلك لأن الناس آمنوا في ظل الإلحاد أن على كل إنسان أن يسلك السبيل الذي يريد، وأن كل إنسان مسئول عن نفسه فقط.

وبهذا انهدمت الخلية الأولى من خلايا المجتمع الإنساني.

5- تخريب المجتمعات:

الأسرة هي الخلية الأولى من البناء الاجتماعي وبفسادها لا شك يفسد النظام كله. لأن الأسرة هي المحضن الأول للإنسان وإذا فسد الإنسان فسدت اللبنات التي تكون هذا البناء ولا بد. ولما كانت الأسرة تقذف إلى المجتمع كل يوم بلبنات فاسدة وتأتي هذه اللبنات الفاسدة وتأخذ مكانها في الهرم الاجتماعي الكبير فالفرد يكون مسئولاً في دائرة أو حاكماً أو طبيباً أو مهندساً أو مدرساً أو عاملاً.. وكل فرد من أفراد المجتمع يتعامل مع المحيطين به بالأخلاق والسلوك الذي كسبه في حياته وخاصة في مراحل نشأته الأولى في أسرته وهكذا تطفح الأنانية والفردية وغياب مراقبة الله سبحانه وتعالى في جميع المعاملات وأنماط السلوك التي يمارسها الفرد، وهكذا تصبح العلاقات التي تحكم تصرفات الفرد في شكل هذا المجتمع علاقات المنافع المادية والمصالح الشخصية، وتختفي التضحية والفدائية والصبر والرغبة في إسعاد الآخرين ونفع الناس وهكذا تتحول الدوائر الحكومية والمؤسسات الخاصة وجميع أجهزة الدولة إلى أن تصبح مطايا للمآرب الشخصية، وهكذا لا يزال الناس يكتشفون في كل يوم الفساد الإداري والوظيفي واستغلال النفوذ، وأخذ الرشوة والتحايل على القوانين والتلاعب بأموال الدولة وكذلك الظلم والقهر.

إن المجتمع الحديث في ظل الإلحاد أصبح شبيهاً بمجتمع الغابة الذي يحاول كل حيوان فيه أن يفترس الآخر وبهذا يلجأ الضعيف إلى التخفي والخداع ويلجأ القوي إلى البطش والقسوة والعنف.

والذين يطالعون أحوال المجتمع الغربي الآن يرون إلى أي حد أصبحت الجريمة عملاً يومياً، وسلوكاً منظماً متطوراً فبالرغم من توفر الزنا والرذيلة ينتشر الاغتصاب للنساء بصورة مذهلة، وبالرغم من توفر الفرص للعمل والإنتاج نجد السطو والسرقات المسلحة التي يمارسها الناس على اختلاف أعمارهم وطبقاتهم وأسنانهم ولا يكاد يمر يوم واحد حتى تقع في كل مدينة عشرات بل مئات من حوادث القتل والإجرام.

وهكذا في ظل الإلحاد وعدم مراقبة الله سبحانه وتعالى وتذكر الآخرة تتحول المجتمعات إلى مستنقع آسن للرذيلة والفجور، وتصبح الجريمة عملاً يومياً ويصبح التحايل على القانون واستغلال النفوذ وظلم القادر للضعيف ونفاق الضعيف أمام القوي خلقاً وديناً ومنهجاً جديداً تسير عليه المجتمعات المنحلة البعيدة عن الله سبحانه وتعالى.

6- الإجرام السياسي:

لعل أعظم آثار الإلحاد هو آثاره في السياسة العالمية، ونظام العلاقات بين الدول. وذلك أن الأخلاق المادية الإلحادية التي جعلت قلب الإنسان يمتلئ بالقسوة والأنانية دفعت الإنسان إلى تطبيق هذه القسوة والأنانية في مجال العلاقات السياسية العالمية أيضاً. ولذلك رأينا الدول الاستعمارية الكبرى تلجأ إلى وسائل خسيسة جداً في استعباد الشعوب الضعيفة والحصول على خيراتها ونهب ثرواتها وبلادنا الإسلامية بوجه عام والعربية بوجه خاص هي أشقى البلاد الضعيفة بهذه السياسات المادية الالحادية

فهي تقع دائماً تحت التهديد بالقهر والتدخل العسكري كلما حاولت دولنا الإسلامية أن تحصل على شيء من حقوقها الضائعة أو أموالها المنهوبة. بل كلما فكرت دولنا في تطبيق الإسلام والرجوع إلى أحكامه وتشريعاته النظيفة الطاهرة، نرى الدول الاستعمارية الكبرى تتنادى لقتل عودتنا نحو الإسلام متهمة هذا الدين بأنه رجعية تارة وأنه وحشية تارة أخرى وأنه يضطهد الأديان الأخرى والأقليات تارة ثالثة ولعل في قضية البترول وسعي الدول الإسلامية للحصول على أثمان معقولة له والاستفادة بهذه الأثمان خير دليل على السلوك الاستعماري الارهابي الأناني ضد هذه الدول الإسلامية فقد اتهمتنا الدول الاستعمارية أننا نريد تدمير الاقتصاد العالمي، واستعباد البشرية وتدمير الحضارة وذلك لمجرد المطالبة بشيء من حقوقنا وهددت تلك الدول الاستعمارية عشرات المرات أنها ستحتل آبار النفط وتأخذه بالقوة إن عمدت دولنا إلى منعه عن أعدائنا أو زيادة أسعاره.

وهكذا يصطلي العالم الآن بنار المادية الأنانية العالمية التي تمارسها الدول الاستعمارية الكبرى التي تقوم الآن على استعباد الشعوب ونهب خيراتها وإيقاعها فرائس للقلق والخوف والفوضى والاختلاف حتى يسهل عليهم استلاب خيراتها وسرقة ثرواتها.

ولو كان الإيمان والتوحيد وخوف الله هو المسيطر على أخلاق الذين يملكون سياسة الدول لعمت الرحمة والإحسان بين الشعوب وكانت نصرة الضعفاء وإعانة المساكين ورفع الظلم هو الدين والمنهج الذي تسير عليه السياسات العالمية.

والخوف كل الخوف بعد ذلك أن يتسبب الإلحاد في تدمير العالم أجمع وذلك بعد وضع العلم الحديث في يد الإنسان أسلحة تستطيع تدمير العالم أجمع.

ومن يشاهد الآن ما تلجأ إليه الدول الكبرى لتدمير الشعوب الصغيرة يجد عجباً فهذه الدول تستخدم أسلحة رهيبة جداً لذلك كالمخدرات، والدعاية السوداء والحرب النفسية والنساء وتربية العملاء وكذلك القتل والتشريد لكل العناصر الطيبة المخلصة لأوطانها وأمتها.

وهكذا استطاع الإلحاد والبعد عن الله سبحانه وتعالى أن يحول المجتمع الإنساني كله إلى مجتمع بغيض جداً يقوم على الظلم والقهر والنهب والخوف الدائم من الدمار والخراب وهذا بدوره يؤدي إلى تدمير نفس الإنسان المعاصر وهروبه الدائم من واقعه ولذلك انتشرت المخدرات والمهدئات والإغراق الجنسي، وكذلك دفعت هذه السياسات العالمية الفرد إلى مزيد من الأنانية وحب الذات والحرص على المال بكل سبيل وطلب النجاة لنفسه فحسب، والعيش ليومه فقط وهكذا خلق الإلحاد الدوامة المعاصرة التي تلف الإنسان في عصره الراهن عصر القلق والأنانية والإجرام والفوضى.

رابعاً: كيف نعالج ظاهرة الإلحاد

بعد أن عرفنا ظاهرة الإلحاد، وعرفنا أسبابها، وشرحنا آثارهـا المـدمرة في نفس الإنسان، ومجتمعه، وفي العلاقات السياسية العالمية أيضاً نـأتي الآن إلى كيفية علاج هذه الظاهرة وهنا نقول أن الإسلام دين جاء لخير الإنسـان على هذه الأرض وإسعاده فيها، وتهيئته لسكنى الجنـة دار السـعادة الأبديـة قد كفل العلاج الناجح المستأصل لهذه الظاهرة الخطـيرة وإليـك خطوطـاً عريضة لكيفية علاج الإسلام لهذه الظاهرة:

1- الدعوة إلى توحيد الله سبحانه:

جعـل الإسـلام دعوتـه تبـدأ من توحيـد اللـه سـبحانه وتعـالى والإيمـان بـه والإقرار أنـه إلـه الكـون وخـالق الوجـود وجعـل الهـدف الأول بـل والأخـير للرسالات السماوية جميعاً هـو إقـرار هـذه القضـية العظيمـة من قضـايات الدين قال تعالى: {ولقد بعثنا في كل أمة رسـولاً أن اعبـدوا اللـه واجتنبـوا الطاغوت} وقال تعالى: {ومـا أمـروا إلا ليعبـدوا اللـه مخلصـين لـه الـدين ويقيموا الصـلاة، ويؤتـوا الزكـاة، وذلـك دين القيمـة} وجعـل اللـه سـبحانه وتعالى الهدف الأول من وجود الإنسان على هذه الأرض هـو أن يعبـد اللـه سبحانه وتعالى قال تعالى: {ومـا خلقت الجن والإنس إلا ليعبـدون} وبهـذا جعل الدين الإسـلامي هـدف الإنسـان على الأرض أن يعـرف ربـه سـبحانه وتعالى ويوحده، ويعبده وحـده لا شـريك لـه. وقـد أبـان اللـه هـذه القضـية وأظهرها ودلل عليها بكل دليل حتى لا يترك فيها شكاً ولا ريبـاً لأحـد فأقـام سبحانه وتعالى من آياته العظيمة في خلق السـموات والأرض والنـاس مـا يرشد العباد إلى خالقهم العظيم، ويدلهم على ربهم القـدير سـبحانه الـذي أحسن كل شيء خلقه وأمـرهم أن يتفكـروا في خلـق السـموات والأرض، وفي خلق أنفسهم، وتعهد سبحانه أن يـرى العبـاد من آياتـه في الآفـاق مـا يحملهم حملاً على هذه القضية كما قال سـبحانه وتعـالى: {سـنريهم آياتنـا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق}.

والأدلة الكونية المشاهدة ليست هي الأدلة الوحيدة التي نصبها الله للدلالة عليه، بل إن الله سبحانه وتعالى أرسل الرسل مبشرين ومنذرين ومؤيدين من قبلـه سـبحانه وتعـالى بالأدلـة والـبراهين العظيمـة على وحدانيـة اللـه سبحانه وتعالى، وأنه خالق الكون، رب العـالمين المسـتحق وحـده للعبـاد. ولقد أتى الرسل صلوات الله وسلامه عليهم بوصف تفصيلي بليـغ لأسـماء اللـه صـفاته حـتى يعظم الـرب سـبحانه أكمـل تعظيم ويعبـد على الوجـه الأمثل. وهكـذا أصـبحت الأدلـة السـمعية الـتي جـاءت بهـا الرسـل مكملـة ومتممة للأدلة البصرية العقليـة الـتي نصـبها اللـه سـبحانه في هـذا الكـون الفسيح وليس هذا فقـط بـل جعـل اللـه سـبحانه وتعـالى شـريعة الإسـلام وعباداته جميعاً دالة على الله داعية للتوحيد حـتى يصـبح المسـلم في كـل عمل من أعماله موحـداً ذاكـراً لهـذه الحقيقـة العظيمـة والصـلاة والصـيام والزكاة والحج شرعت جميعهـا لتعـرف اللـه وتـدل عليـه وتشـعر المـؤمن بقربه سبحانه وتعالى من عباده واطلاعه عليهم ولذلك اشترط فيها جميعـاً إخلاص النية لله سبحانه وتعلـق القلب أثنـاء فعلهـا باللـه، وشـغل اللسـان وقت فعلها بذكر الله والدلالة عليه فإذا عرفنا أن المسـلم يمـارس الصـلاة

خمس مرات في كل يوم وليلة وجوباً علمنا تبعاً لذلك أن المسلم لا بد وأن يظل ليله ونهاره ذاكراً لربه منيباً إليه داعياً له، وهذا كله ليظل بعيد تماماً عن الإلحاد بالله والكفر به.

وهكذا أصبح الإسلام منهجاً وطريقاً للتوحيد والصلة الدائمة بالله سبحانه وتعالى والبعد الدائم عن الإلحاد بل عن كل ما يقطع صلة العبد بربه سبحانه وتعالى.

2- العناية بالتربية الخلقية:

جعل الإسلام الهدف الدنيوي الأرضي لرسالته هو إقامة العدل في الأرض وإسعاد الإنسان عليها، ولذلك وجه الإسلام وجوه الداخلين فيه إلى العمل لخير الناس ولذلك أوجب على المسلمين جميعاً الدعوة إليه كما قال تعالى: {ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون} أي لتكونوا جميعاً أمة داعية إلى الخير، وقال تعالى: {كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله} وفي سبيل دعوة الناس إلى الخير والهداية أمر الله المؤمنين بالصبر في ذلك وتحمل الأذى حتى لا ينفر الناس من هذا الدين واتخاذ الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالحسنى سبيلاً ومنهجاً، وهكذا امتلأت قلوب المسلمين بمحبة الخير للناس ورغبة هدايتهم وإنقاذهم ظلمات الشرك والكفر والإلحاد إلى نور الهداية والإسلام.

وأمر الإسلام أتباعه أيضاً بالعدل والإحسان مع كل الناس حتى مع المشركين والكافرين، والصبر على أذاهم إن كان في هذا خيراً ومصلحة، ورد إساءتهم والانتصار منهم عن العدوان فقط كما قال تعالى: {وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين} وأمر سبحانه بالعدل مع الكافرين حتى مع ظلمهم وكراهيتنا لهم كما قال سبحانه وتعالى: {يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون} وهكذا فالإسلام رسالة هداية ورحمة للناس جميعاً كما قال سبحانه وتعالى لنبي الإسلام نبي الرحمة {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين}.

وجاء الإسلام بعد ذلك بالبر والإحسان والرحمة بالوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وكل محتاج، وجعل للجار حقوقاً على جاره، وللصديق حقاً على صديقه وكذا للصاحب والزميل، بل لكل مسلم على مسلم حقوقاً كرد السلام، وإجابة الدعوة وتشميت العاطس وعيادة المريض، واتباع الجنائز، ونهى عن ظلم المسلم واحتقاره، وخذلانه، وهجرانه فوق ثلاث والبيع على بيعه، والخطبة على خطبته، والتجسس عليه وحسده، وبغضه، وغيبته، وسبه وجعل هذا من الفسوق والإثم الذي يعاقب فاعله بأشد العقوبات. وهكذا أصبح الإسلام رسالة إنسانية كاملة يأمر أتباعه بزرع الخير أني وجدوا، وفي أي مكان يكونون فيه، ومع كل إنسان ولو كان كافراً إلا أن يكون محارباً خارجاً بالسيف على المسلمين، وأما إن كان مسالماً مستأمناً أو معاهداً فقد أمرنا الله بالإحسان إليه وبره مع كفره أو فسقه وخروجه عن الإيمان.

وبهذه الروح الطيبة التي يخلقها الإسلام في نفوس أتباعه ويغرسها فيهم ينشأ المسلم الطيب القلب العلي الهمة نقي السريرة، فإذا توجه المسلم في كل ذلك نحو ربه مراقباً لله عاملاً لمرضاته، مربداً وجهه كان أبعد الناس عن الإلحاد والكفر والزندقة، أقرب الناس إلى ربه وخالقه ومولاه لأن أعماله وأقواله جميعاً ستكون عبادة خالصة، وسيكون قلبه دائماً وأبداً متصلاً بربه ذاكراً له شاكراً لأنعمه كما قال تعالى: {قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين}.

وهذا الإنسان الذي يتربى على الإسلام على هذا النحو لا يوجد في الأرض أطهر منه ولا أنظف ولا أطيب فهو خير ما يدب عليها كما قال تعالى: {إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية}.

ومثل هذا الإنسان الذي يراقب ربه عند كل نظره، وخاطرة، وفي كل عمل، ويتوجه بكليته في جميع أموره نحو ربه وخالقه لا شك أنه سيكون بعد ذلك لبنة صالحة في بناء صالح وبهذا تنشأ المجتمعات النظيفة التي تتخلص من الأثرة وحب النفس، والتنافس البغيض والإغراق في الشهوات والملذات والأنانية والفردية.

وهكذا نجد أن هدفي الرسالة الإسلامية هما:

إخلاص الدين وتوحيده وعبادته وكذلك العمل لخير الإنسانية الطيبة الطاهرة التي هي بحق البديل الصالح للنفسية الإلحادية الخبيثة المدمرة التي تعيش القلق والأنانية والإجرام على ظهر هذه الأرض.

3- التصدي لشبهات الملاحدة:

الكفر كلمة تملأ الفم فقط وتجري على اللسان دون أن يكون لها نصيب من الواقع فإنكار الله سبحانه وتعالى وإنكار البعث والجنة والنار وإنكار الرسالات كل ذلك ليس إلا كلاماً وقذفاً يملأ أفواه قائليه ويجري على ألسنتهم دون أن يكون له من الواقع نصيب، ولا يملك أهل هذا الكلام الباطل لإثباته إلا الجهل والجهل ليس دليلاً.. فهم يقولون لم نر ولم نسمع ولا نعقل أن يكون للكون إله مدبر، وأن يكون قد خلق الخلق لحكمة وغاية، وأن يكون هناك بعث بعد الموت، وأن تكون جنة ونار، والحق أنهم يكابرون ولا يريدون أن يصدقوا لعلل أخرى ولا يدخل فيها أنهم لم يعرفوا الحق ولم يروا الدليل، بل لظنهم أن الحق يحول بينهم وبين ما يشتهون، أو أنه يحرمهم من بعض ما يحبون ويفرض عليهم كثيراً مما يكرهون وهذه العلة هي علة السابقين في الكفر ومن سار على دربهم إلى يوم الدين كما قال تعالى: {إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى} فالكافر لا يملك يقيناً في نفي وجود الله ووحدانيته، وفي نفي رسالاته ولا يملك إلا الظن وإلا فمن يملك دليلاً واحداً على أن محمداً وحاشاه صلى الله عليه وسلم كاذب، وأنه عاش طيلة عمره يأمر الناس بالباطل ويوهمهم أن هناك جنة وليس الأمر كذلك، ويوهمهم أن هناك ناراً وليس هذا بصحيح وأنه جاهد وعانى وتحمل ما تحمل في سبيل قضية باطلة لا يؤمن بها.

الحق أن من كذب به قديماً وحديثاً لا يملك كما أسلفنا إلا الظن والظن ليس دليلاً ولا يتبع إلا ما تهواه نفسه وبئس الهوى أن يكون قائداً ومرشداً وإلهاً..

ولكن مع هذا لا يكفي الحق أن يكون حقاً ليعتنقه الناس ويذعنوا له، بل لا بد للحق من حجة تدافع عنه وسلطان يقوم به، وإن فإن الباطل مهما كان زيفه وخزعبلاته فإنه ينتصر بالقوة أحياناً وزخرفة القول أحياناً أخرى ولا يكون ذلك بالطبع إلا في غيبة الحق، أو بجهل أهل الحق بطرق الجدال والإقناع ودحض الباطل والرد على شبهات الملحدين، تماماً كما تكون صاحب قضية عادلة أحياناً كأن يكون لك بيت ورثته كابراً عن كابر ثم يأتي آخر دخيل لا حق له بتاتاً فيدعي ملكه لهذا البيت فإذا كان أقوى منك لساناً، وأعظم حيلة ومكراً فإنه يقلب حقك إلى باطل وباطله إلى حق يغري بباطله من يملك بصراً وفؤاد فإن الناس تحكم دائماً حسب ما تسمع وهذا ما يحدث دائماً في عرض قضية الإسلام والتوحيد في مقابل قضايا الشرك والإلحاد كثيراً ما نجد وخاصة في أيامنا هذه أهل الباطل ألحن بحجتهم وأكثر زخرفة لباطلهم بل وأكثر نشاطاً وحماساً ورغبة في نشره من أهل الحق لحقهم، وهكذا وجد الإلحاد طريقه إلى النفوس والعقول، فالباطل لا يقنع العقل، ولا يملأ الروح ولكن هالة الكلمات التي يتزخرف بها، وروعة الإخراج التي يخطر بها يجعل الناس يرتمون في أحضانه ويتهافتون عليه.. هذا والإلحاد إلى ذلك يهتك أستار المحرمات كلها فلا يبقى حراماً إلا ما لا تستطيع أن تصل إليه، وإذا كان التوحيد يعد أهله بجنة بعد الموت فإن أهل الإلحاد ودعاته يعدون من يتبعونهم في باطلهم بجنة على الأرض والنفوس الضعيفة تؤثر دائماً العاجل على الآجل. هذا إلى فشل دعاة الإسلام كثيراً في بيان أن ما يحققه الإسلام على الأرض من سلام واستقرار وسعادة هي الجنة الحقيقية المستطاعة على هذه الأرض، وأن ما يدعو إليه الإلحاد من جنة الشهوات والأهواء ما هو إلا الجحيم العاجل قبل الجحيم الآجل. ولكن كما قلنا آنفاً انحسرت عقيدة التوحيد أمام ظلام الإلحاد لأن دعاة الحق لم يكونوا على مستوى الأحداث فيقابلون كل شبهة للإلحاد بدليل من أدلة الحق..

ليس الدليل في كل وقت كلاماً:

ولا أعني بتاتاً أن يكون دليل الحق دائماً كلاماً بل الدليل قد يكون كلاماً فعلاً فالإسلام والتوحيد نظام عملي وعبادي واعتقادي وإثبات الحق في الإسلام لا يكون بمجرد الكلام فمن قال مثلاً أن الإسلام يعني التخلف ويحارب العلم المادي كان الرد الطبيعي أن يمتلك المسلمون القوة وأن يتعلموا هذا العلم المادي، وبذلك تبطل الشبهة، ومن قال أن الإسلام لا يصلح لحياة الناس كان الرد الصحيح هو إقامة الإسلام العلمي الواقعي. وهكذا يصبح الحق حقاً والباطل باطلاً.

باختصار يستحيل أن نعالج ظاهرة الإلحاد المعاصرة إلا إذا أقمنا دليلاً للرد على كل شبهة وجعلنا العالم الواقعي هو الميدان لجهادنا وإثبات حقنا وأما إذا أصبحت الكتب فقط والأوراق هي الميدان الذي نحارب من خلاله فإننا ولا شك نخسر المعركة.

وهكذا يكون الـرد على شـبهات الإلحـاد كلامـاً في مقابـل الكلام وعملاً في مقابـل الأعمـال، فـإذا أفـرز الإلحـاد انحرافـاً ونجاسـة وانحلالاً فيجب على التوحيد أن يخلق طهراً وعفافاً واستقامة. وإذا كان الإلحاد يعني الظلم فإن التوحيد يعني العـدل ولن نفهم العـدل إلا إذا كـان واقعـاً كمـا أننـا لا نحس بالظلم إلا إذا كان واقعاً. وإذا كان الإسلام كما نعتقد وهو كـذلك هـو الفلاح الحقيقي في الدنيا ولا أقول صالحاً لحياة الناس فقط هذا الإسلام يجب أن يكون واقعاً مطبقاً وليس قضية كلامية نصرخ بها هنا وهناك.

.. وهكذا إذا استطاع المسـلمون أن يملكـوا لكـل شـبهة جوابـاً وأن يكـون الجواب كما يرى الناس لا كما يسمعون فقط استطعنا حقاً أن نقضي على ظاهرة الإلحاد..

****

****

****